ملامح الحياة العلمية للآل والأصحاب في عصر الخلافة الراشدة

إعداد
الدكتور: عبد الرزاق موسى أبو البصل

مقدم لـ
«مؤتمر السابقون الأولون ومكانتهم لدى المسلمين
(الثالث) الخلافة الراشدة
والقيم الفكرية والحضارية»

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد،

فإن الله سبحانه وتعالى، بعث رسوله بالهدى، ودين الحق، ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيداً، وقام رسول الله ﷺ بتبليغ الرسالة على أتم وجه، حتى أظهره الله تعالى، وأتم الله النعمة على المؤمنين بإكمال دينهم، وأنزل في ذلك قرآناً يتلى إلى يوم القيامة شهادة لهذا النبي الكريم، الذي بعثه رحمة للعالمين فقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1].

وبعد هذه المرحلة الطويلة في حياة مليئة بالعمل الدائب، في البناء للأمة في أفرادها وجماعاتها، ومجتمعاتها، انتقل إلى الرفيق الأعلى قرير العين حيث أدى المهمة وأشهدهم على ذلك: وقبض رسول الله ﷺ، وخلَّف رجالاً، من ذوي العقول الكبيرة، والقلوب الصافية، والنفوس الأبية المؤمنة المطمئنة إلى ان السعادة كل السعادة، في الدين والتمسك به، وبما جاء به رسول الهدى ﷺ حيث وضعهم على المحجة البيضاء، والطريق الواضح، وتركهم وهم كذلك وقد كان من أعظم المهام والأعباء التي اضطلع بها الخلفاء الراشدون بعد ضبط الحياة السياسية، والمحافظة على الدين، ورفع أعلامه ،تعليم الناس أمر دينهم، لأن – الدين – جوهر رسالة الإنسان في الحياة، وقد فهموا أن الحياة الإنسانية لا تستقيم بغير الدين الحق، وأن الإسلام جاء يضبط الحياة الدنيا بالدين، الذي يصل بالله

---

١ – سورة المائدة الآية (٣).

العلي الأعلى، وبمنهج لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، منزل من عند الله الحق: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾[1] فكانت حياتهم مصبوغة بهذه الصبغة، وهذا البحث يتحدث عن جانب من جوانب هذه الصبغة التي صبغت بها حياة خير الناس في خير القرون، وبشهادة النبي ﷺ حيث يقول:(خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم...) الحديث[2].

وقوله ﷺ عمن يلي الأمر بعده: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها... » الحديث[3]، وإن من أعظم ما يميز الخلافة الراشدة، في رشدها، تمسكها بما كان عليه النبي ﷺ، وإلا فكيف يكون رشد إذا لم يكن اتباع وتمسك، وهو ﷺ القائل: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله وسنتي»[4]، فالرشد كل الرشد، بالتمسك بالكتاب والسنة، والضلال يكون بالانحراف عنهما أو تركهما والإعراض عن الهدى الذي جاء به، وقد حمى الله عز وجل الخلفاء الراشدين من الضلال والانحراف، فقد زكى النبي ﷺ فعلهم ﷺ.

١- سورة المائدة الآية (٣).

٢- أخرجه الإمام أحمد والبخاري ومسلم والترمذي من حديث ابن مسعود ﷺ.

٣- أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٠/ ٣٥٥ برقم ١٨٤٠٦)، وقال محققه اسناده حسن.

٤ - أخرجه البزار في مسنده ح (٨٩٩٣) من حديث ابي هريرة وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع الصغير (٢٩٣٧).

ولما كان من سنة الله عز وجل الماضية الابتلاء والامتحان، حتى كان هذا الابتلاء للأصفياء من خلقه، فقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾[1]، فقد ابتلي الصحابة ﷺ بعد وفاة النبي ﷺ بأمور عظيمة، واجهوها بكل حزم وعزم وثبات، حتى استقر الأمر للحق، وثبت الدين وضرب بجرانه في الأرض، وتلك القلاقل والفتن والابتلاءات التي حدثت صرفت كثيراً من الجهود عن قضايا لها الصدارة في الحياة الإسلامية، لكنها لا تكون إلا في ظل الأمن الوارف، والأمان الذي تترعرع فيه الحياة الاجتماعية والعلمية في أي عصر من العصور.

ومن المعلوم أن التأريخ للحياة العلمية في عصر الراشدين له مكانته وخطره، وبيان ملامح تلك الحياة فيه نوع صعوبة، لأن الراشدين ﷺ ملئت حياتهم بإرساء دعائم الدولة الفتية وشغلوا بالقضاء على الفتن التي عصفت عليهم من كل مكان، خاصة حركة الردة في عهد الصديق ﷺ، فلم تأخذ الحياة العلمية حظها في خلافته إلا بعدما استتب أمر المسلمين وأخمدت حركة الردة وأُدب المتمردون على الإسلام والمتآمرون عليه.

وإذا نظرنا إلى آل بيت النبي ﷺ وأثرهم في تلك الحياة العلمية،فإننا نجد ذلك الأثر ظاهراً بارزاً، حيث كانوا مفزع الناس في الرجوع والتلقي للعلم، حيث كان حظهم فيه أكثر من غيرهم، فقد شركوا الناس فيما عرفوا، وزادوا عليهم بسبب

---

١ - سورة المائدة الآية (٣).

القرب والمخالطة وهو ما لا يتوافر لغيرهم؛ لذا تلقى الناس ذلك عنهم وعرفوا ذلك لهم. والنصوص الدالة على عظم أمرهم في العلم كثيرة، خاصة ان أكثرهم قد احتيج إليه ممن صحب النبي ﷺ في حال صغره، وهو أدعى للحفظ والضبط، ومن كان في حال الكِبَر منهم كان أدعى للفهم والمعرفة والدراية، ثم تعانق الأمران عند الأداء والعطاء العلمي فيما بعد.

١ – فقد كان علي بن أبي طالب ﷺ أقدم الصحابة صحبة للنبي ﷺ، ولم يشركه في ذلك منهم إلا الصديق ﷺ، وكان وعيه وفهمه للأمور من الظهور بمكان، فقد حمل عن النبي ﷺ علماً كثيراً فدل على فضله وتقدمه.

قال الإمام أحمد: ما ورد لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ من الفضائل ما ورد لعلي ﷺ. أخرجه الحاكم [١].

وكان ابن عباس رضي الله عنهما من أعلم الصحابة، اصابته بركة دعوة النبي ﷺ له بالحكمة، وبالفقه في الدين وتعلم التأويل، حتى صار حبر الأمة، كان يلقب بالبحر لسعة علومه، وكذلك عائشة رضي الله عنها من أعلم الصحابة ﷺ، ومرجعاً لهم فقد « كان الناس يرون علم عائشة قد بلغ ذروة الإحاطة والنضج في كل ما اتصل بالدين من قرآن وحديث وتفسير وفقه...، ومع حمل الأصحاب إلى الأمصار طائفةً صالحةً من الأحاديث والأحكام حتى كانوا ثمة مرجع طلاب العلم ورواة الحديث، بقيت المدينة – لأسباب أهمها وجود السيدة نفسها فيها – دار الحديث ومنبع العلم، فحين يشكل على أهل الأمصار أمر من الأمور،

١ – تاريخ الخلفاء، السيوطي ص ١٦٨.

يكتبون إلى أصحاب رسول الله ﷺ في الحجاز يسألونهم عن حكم فيه، فكان هؤلاء إذا فاتهم شيء رجعوا إلى علماء بينهم اشتهروا بحمل العلم وفقهه، كعبد الله ابن عمر، وأبي هريرة، وابن عباس... ومقام السيدة بينهم مقام الأستاذ من تلاميذه، فكان عمر بن الخطاب يحيل عليها كل ما تعلق بأحكام النساء، أو بأحوال النبي البيتية، لا يضارعها في هذا الاختصاص أحدٌ من النساء على الإطلاق. ويصل إلى مسمع السيدة عائشة عن أولئك الصحابة العلماء روايات وأحكام على غير وجهها؛ فتصحح لهم ما أخطأوا فيه، أو تُبيّن ما خفي عليهم، حتى اشتهر ذلك عنها، فصار من شك في رواية أتى عائشة سائلاً، وإن كان بعيداً كتب إليها يسألها. ومن هنا طار لها ذلك الصيت في التمكن في العلم، ورجع إلى قولها كبار الصحابة كأبي بكر وعمر وأبنه وأبي هريرة وابن عباس وابن الزبير. وقد نقل عنها وحدها ربع الشريعة على ما يقول الحاكم في مستدركه»[١].

قال أبو موسى الأشعري وهو من فقهاء الصحابة: ما أشكل علينا – أصحاب رسول الله ﷺ – حديث قط، فسألنا عائشة، إلا وجدنا عندها منه علماً[٢].

وعن عطاء بن أبي رباح: « كانت عائشة أفقه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأياً في العامة »[٣].

---

١ – عائشة والسياسة – سعيد الأفغاني (ص ٢١ – ٢٢).

٢ الموطأ (٦/ ١٢٤)، جامع الترمذي (برقم ٣٨٨٣)، المعرفة والتاريخ للفسوي (٢/ ٤٨٠).

٣- أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ١٥) سند صحيح.

اجتزئ بمن عرفها بعد دراسة طويلة حتى لا أطيل في النقول، فقد قال الأستاذ الأفغاني: في مقدمته لكتاب الإجابة فيما استدركته عائشة على الصحابة للزركشي،وقد تفرغ لدراسة حياتها في كتاب آخر « عائشة والسياسة » وفيها: «سلخت سنين في دراسة السيدة عائشة، كنت فيها، حيال معجزة لا يجد القلم إلى وصفها سبيلاً؛ وأخص ما يبهرك فيها علم زاخر كالبحر، بُعد غوره وتلاطم أمواج، وسعة آفاق، واختلاف ألوان، فما شئت ذاك من تمكن في فقه أو حديث أو تفسير أو علم بشريعة أو آداب أو شعر أو أخبار أو أنساب أو مفاخر أو طب أو تاريخ إلا أنت واجدُ منه ما يروعك عند هذه السيدة، ولن تقضي عجباً من اضطلاعها بكل أولئك، وهي لا تتجاوز الثامنة عشرة »[1] يعني عندما قبض عنها النبي ﷺ.

وهذا الذي قاله حق في حق أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي كانت بالمكانة العالية في النباهة والذكاء، فقد قال الإمام ابن القيم بأنها كانت:« مقدمة في العلم بالفرائض، والأحكام، والحلال والحرام، وكان من الآخذين عنها لا يكادون يتجاوزون قولها المتفقهين بها... »[2].

والكتابة عن الحياة العلمية والفكرية واسعة المدى، أرجاؤها مترامية، ومناحيها متعددة، فكيف إذا كانت تتعلق بعصر الراشدين، وهو عصر عميق الغور، لأنه عصر اختلفت أطواره، وظهرت فيه اتجاهات وسأحاول في هذا

١- مقدمة الإجابة لما استدركته عائشة ص٣.
٢- أعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ١٧).

البحث الحديث عن بعض ملامح الحياة العلمية في عصرهم الميمون بإجمال لا يحجب الحقائق الكبرى، وخاصة أنني سأركز فيه على قادة الحياة العلمية من آل البيت في ذلك العصر،وجاعلاً من أشهر شخصياتهم موضوع هذا البحث، موجهاً العناية إلى أثرهم العلمي في ذلك العصر، غير متعرض للكلام عما يتصل بحياتهم الخاصة إلا بقدر ما يتصل بموضوع البحث عن الحياة العلمية واقتصرت فيه على النواحي الأهم:

١ - أصول العقيدة.

٢ - الاتجاهات الفقهية.

٣- السنة وتدوينها.

٤ - القرآن الكريم جمعه وتفسيره.

- أصول العقيدة الإسلامية:

من المعلوم أن أغلى درة يحرص عليها الإنسان عقيدته، وإذا كان الإيمان والتوحيد أعظم النعم على العبد، فينبغي له أن يعض عليها بالنواجذ خوفاً من ضياعها أو تكديرها، وكان الصحابة ﷺ أجمعين على الاعتقاد السليم المزكى من قِبل الوحي المعصوم، فقال الله عز وجل عنهم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[1] وقد

١ - سورة التوبة الآية (١٠٠).

خُص أهل بيت النبوة بمزيد من التزكية حيث قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1]، فهم مطهرون من كل رجس مادي أو معنوي، وقد بعث الله عز وجل رسوله ليزكي النفوس بما جاء به من الهدى والعلم فقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾[2]، فقد كان حظ أهل بيته من هذا الهدى أعظم الحظ والنصيب، ولذا زكَّى ما كانوا عليه حيث قال: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله، حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا، حتى يردا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما »[3]، وفي رواية مسلم: «... قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خُمًّا – بين مكة والمدينة – فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر، ثم قال: أما بعد، ألا أيها الناس؛ فإنما أنا بشر مثلكم، يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما: كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحثَّ على كتاب الله، ورغَّب فيه، ثم قال: وأهل بيتي، فقال له حصين – الراوي عنه – ومن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟قال:

١- سورة الأحزاب الآية (٣٣).

٢- سورة الجمعة الآية (٢).

٣- أخرجه الترمذي (٥/ ٦٦٣) من حديث زيد بن أرقم ﷺ، وقال حسن غريب، وأخرجه أيضاً أحمد في المسند، والنسائي في السنن الكبرى، والحاكم في المستدرك (٣/ ١٦٠، ٦١٣) وقال: صحيح الاسناد على شرط " الشيخين ".

نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال: وهم ؟ قال: هم آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس. قال: كل هؤلاء حرم الصدقة ؟ قال: نعم »[١]،وقد كان آل البيت على ما تركهم عليه النبي ﷺ من سلامة المعتقد في التوحيد وأسماء الله وصفاته، وفي القدر وسائر مسائل الاعتقاد. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « فإن الثابت عن علي ﷺ، وأئمة البيت من إثبات الصفات لله، وإثبات القدر، وإثبات خلافة الثلاثة، وإثبات فضيلة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.. والنقل بذلك ثابت مستفيض في كتب أهل العلم»[٢].

وقال أيضاً: « والمنقول عن أهل البيت في اثبات الصفات والقدر لا يكاد يحصى. قال ابن عباس رضي الله عنهما: الإيمان بالقدر نظام التوحيد فمن وحّد الله، وكذَّب بالقدر؛ نقض توحيدَه تكذيبُه » [٣] وصدق رحمه الله تعالى ما أعلى نظره وأدقه.

وحياة هذه العقيدة حتى ينعم بها أهلها ويسعدون، يكون بأمرين: قوة أصولها وصحة مبادئِها، في حرية أجوائها، وتنمو وتزدهر أيضاً: بدوام كفاحها، ونيران اضطهادها، وتموت بضعف أصولها وفساد مبادئها، وترف رجالها ومطامعهم[٤]، فحياة العقيدة بقوة أصولها وصحة مبادئها في حرية أجوائها، وقد كانت حياة العقيدة الإسلامية أقوى ما يكون لصحة مبادئها التي استندت

١- صحيح مسلم (٤/ ١٨٧٣)، وابن خزيمة (٤/ ٦٢).
٢- انظر منها ج السنة النبوية (٢/ ١٤٣ – ١٤٤، ٩٦ – ١٠٥، ١١١).
٣- منهاج السنة (٢/ ٧٣) و مجموع الفتاوى (٣/ ١١٣).
٤ – انظر: محمد عبد الحميد أحمد، في ظلال العقيدة ص ٥١.

للوحي المعصوم، وأصولها قوية، فقد أرسى قواعد بنائها النبي ﷺ وخلفه على صيانة البناء وحراسته أصحابه من بعده رضوان الله عليهم، ولما كان الصراع بين الحق والباطل من سنة الله عز وجل، وكان لكل نبي عدواً من المجرمين[١] والشياطين[٢]، فقد أغرى الشيطان فئاماً من الناس لم يستقر الإيمان في قلوبهم، ولم يخالط بشاشتها، فقد حدث أن انقلبوا على أعقابهم، فارتدوا عن الإسلام بعد أن لحق الرسول الكريم بالرفيق الأعلى، ولبَّس على آخرين بمنع الزكاة ، فكان موقف أبي بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ والصحابة معه صارماً في حراسة الدين والمحافظة عليه كما كان يوم أن تركهم رسول الله ﷺ بعد أن أتم الله به النعمة وأكمل الدين.

وقد كان أئمة الآل والأصحاب أحرص الناس على العقيدة وسلامتها من أي شيء يعكر صفوها عليهم، أو أي محاولة تخل بنظامها. لذلك كان هؤلاء الأئمة على غاية التيقظ في هذا الأمر، وقد ورد عنهم من النصوص الكثير وكانت مواقفهم على الحفاظ على العقيدة كثيرة منها:

---

١ - كما قال الله عز وجل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ الفرقان ٣١.

٢- كما قال الله عز وجل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ الأنعام ١١٢.

(١)- الحفاظ على نظام الدين:-

وقد تمثل ذلك في أمور كثيرة منها:-

١ - قتال المرتين الخارجين عن نظامه:

فقد كان الصَّحابة ﷺ مع الصديق في قتاله المرتين بعدما قام فيهم خطيباً وشرح الله صدورهم لما شرح الله له صدر أبي بكر ﷺ، فخرج أبو بكر في المهاجرين والأنصار حتى حذاء نجد، وهربت الأعراب بذراريهم، فكلَّم الناس أبا بكر، وقالوا: ارجع إلى المدينة وإلى الذرية والنساء، وأمّر رجلاً على الجيش، ولم يزالوا به حتى رجع، وأمَّر خالد بن الوليد، وقال له: إذا أسلموا وأعطوا الصدقة، فمن شاء منكم ان يرجع فليرجع، ورجع أبو بكر إلى المدينة[١].

وعن ابن عمر قال: لما برز أبو بكر واستوى على راحلته، أخذ علي بن أبي طالب بزمامها، وقال: إلى أين يا خليفة رسول الله؟ أقول لك، ما قال لك رسول الله ﷺ يوم أحد:شم سيفك، ولا تفجعنا بنفسك، وارجع إلى المدينة، فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبداً[٢]، ما أبصره ﷺ، وما أشد حرصه على دين الله عز وجل والحفاظ على جماعتهم.

وبعد أن قاتل الصدِّيق المرتدين وجيّش الجيوش لقتالهم، أراد أن يوطد أركان دولة الإسلام، فعزم على جمع الجنود ليبعثهم إلى الشام، وذلك مرجعه من

---

١ - الذهبي، تاريخ الاسلام في عهد الخلفاء الراشدين (٣/ ٢٧-٢٨)، السيوطي، تاريخ الخلفاء ص ٧٥.

٢ - السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص ٧٥) وعبد الستار الشيخ، الخلفاء الراشدون (ص ٦٧- ٦٨).

الحج إتماماً لما بدأه رسول الله ﷺ من غزو الروم فبعث أسامة بن زيد ليغزوا تخوم الشام. فقام، فدعا عمر، وعثمان، وعلياً، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وأبا عبيدة بن الجراح، ووجوه المهاجرين والأنصار من أهل بدر وغيرهم، فدخلوا عليه، فقال أبو بكر: « ان الله عز وجل لا تحصى نعماؤه، ولا تبلغ جزاءَها الأعمالُ، فله الحمد؛ قد جمع الله كلمتكم، وأصلح ذات بينكم، وهداكم إلى الإسلام، ونفى عنكم الشيطان، فليس يطمع أن تشركوا به، ولا تتخذوا إلهاً غيره، فالعرب اليوم بنو أم وأب. وقد رأيت أن استنفر المسلمين إلى جهاد الروم بالشام،ليؤيد الله المسلمين، ويجعل الله كلمته العليا،مع أن للمسلمين في ذلك الحظ الأوفر، لأنه من هلك منهم هلك شهيداً وما عند الله خير للأبرار، ومن عاش عاش مدافعاً عن الدين، ومستوجباً على الله ثواب المجاهدين. وهذا رأيي الذي رأيته، فليشر امرؤ عليَّ برأيه ». فقام عمر بن الخطاب فأيده على ما أراد واعترض ابن عوف على رأيهما، فلما سمع الصديق مقالتي عمر وابن عوف أراد مزيداً من آراء وجوه الصحابة ﷺ، فقام عثمان فقال: إني أرى أنك ناصح لأهل هذا الدين، شفيق عليهم، فإذا رأيت رأيا تراه لعامتهم صلاحاً؛ فاعزم على إمضائه فإنك غير ضنين. فقال طلحة والزبير وسعد وأبو عبيدة وسعيد بن زيد ومن حضر المجلس من المهاجرين والأنصار ﷺ: « صدق عثمان، ما رأيت من رأي فأمضه، فإننا لا نخالفك ولا نتهمك. ثم توجَّه أبو بكر إلى علي بن أبي طالب ﷺ فقال: ما ترى يا أبا الحسن ؟ فقال عليٌّ: أرى

أنك إن سرت إليهم بنفسك، أو بعثت إليهم، نُصرت عليهم ان شاء الله !. فقال: بشَّرك الله بخير، ومن أين علمت ذلك ؟. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يزال هذا الدين ظاهراً على كل من ناوأه حتى يقوم الدين وأهله ظاهرون. فقال: سبحان الله، ما أحسن هذا الحديث، لقد سررتني به سرَّك الله[١].

٢- ومن ذلك: قتال الخوارج[٢]: إن قتال علي ﷺ كان حماية للدين من الغالين فيه، ولو لم يقاتلهم علي ﷺ ويسن ذلك،لما جرؤ على قتالهم أحد بعده،وهو الذي عرف أن في قتالهم أجراً، خاصة وأن الأحاديث الواردة فيهم كثيرة[٣]، وقد أمرَّ به أمر النبي ﷺ في أحاديث كثيرة، وقد قال الإمام أحمد رحمه الله:أنها صحت من عشرة أوجه كما سيأتي.

دين الله عز وجل وسط بين الغالي فيه والمقصر عنه، وقد سلك الخوارج مسلك الغلو، الذي حذَّر منه القرآن والسنة أشد التحذير، لما يترتب عليه من الهلاك، قال تعالى:« يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم غير الحق »[٤] وقال ﷺ: (...

١- عبد الستار الشيخ، الخلفاء الراشدين ص ٧٣- ٧٥. وانظر تاريخ الإسلام (٣/ ٨١) وهامشه.

٢- الخوارج: فرقة كان أو ظهورها في صفين بعد التحكيم، خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، ويجمعهم القول بالخروج على الإمام الحق وخلع طاعته وعصيانه والتأليب بعد ان اتفقت عليه الجماعة، والتكفير بالمعصية وارتكاب الكبيرة والتخليد له بالنار.

٣- قال ابن عاشور: (إنما خص بالتحذير التكلف والغلو دون التقصير؛ لأن الغلو مظنة الالتباس بالأمور المحمودة لاعتقاده أنه زيادة في الخير، وأما التقصير والتفريط منهما داخلان في الذم العام للمفرطين في الشرائع..) أ.هـ. أصول النظام الاجتماعي ص ٢٥.

٤- ابن عباس / ن/ ٥/ ٢٦٥

وإياكم والغلو في الدين،... إنما أهلك من كان قبلكم) وقوله:(هلك المتنطعون) قالها ثلاثاً [١].

(فالاعتدال هو الكمال وهو إعطاء كل شيء حقه من غير زيادة ولا نقص)[٢].

(وقد كان علي ﷺ مسروراً لقتال الخوارج، ويروي الحديث عن النبي ﷺ في الأمر بقتالهم ومنها: (يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، (وقد روى مسلم أحاديثهم في الصحيح من عشرة أوجه وروى هذا البخاري من غير وجه، ورواه أهل السنن والمسانيد؛ وهي مستفيضة عن النبي ﷺ، فتلقاه بالقبول، أجمع عليها علماء الأمة من الصحابة ومن اتبعهم، واتفق الصحابة على قتال هؤلاء الخوارج)[٣].

وإنما قاتلهم علي ﷺ بعدما أرسل ابن عباس ﷺ لمناظرتهم، وجرى بينه وبينهم حوار طويل كان منه قوله لهم: ماذا تنقمون من علي ؟ قالوا: ننقم منه ثلاثاً: التحكيم وعدم الأخذ من مقاتليه سبياً ولا غنائم، ورضي عند التحكيم أن يخلع عن نفسه صفة أمير المؤمنين استجابة لأعدائه، فإن لم يكن أميراً للمؤمنين

١- أخرجه مسلم (٢٦٧٠).

٢ - ابن عاشور، أصول النظام الاجتماعي، ص ٢٤.

٣- ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٣٥/ ٥٥).

فهو أمير الكافرين. هذا باختصار وأخذ ابن عباس يفند أقوالهم، فرجع منهم ألفان كلهم تائب حتى أدخلهم ابن عباس على عليٍّ بالكوفة... الخ[١].

ونحن نعلم أنه لو لم يقاتلهم علي ﷺ، لما اجترأ عليهم غيره بعده؛ بسبب الالتباس في أمرهم خاصة وأنهم من العُبَّاد الخشن، لكن ذلك لم يكن مانعاً له من تطبيق أحاديث النبي ﷺ فيهم، ويضاف إليها أن النبي ﷺ قال فيهم: «طوبى لمن قتلهم أو قتلوه»[٢]. وذكر من عبادتهم ومع ذلك قال: «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد وإرم »[٣]، «فقتلهم عليٌ ﷺ وأصحابه، وسر أمير المؤمنين بقتلهم سروراً شديداً وسجد لله شكراً لما ظهر فيهم علامتهم وهو المخدّج اليد، الذي على يده مثل البضعة من اللحم، عليها شعرات، واتفق جميع الصحابة على استحلال قتالهم، وندم كثير منهم كابن عمر وغيره على ألا يكونوا شهدوا قتالهم مع أمير المؤمنين، بخلاف ما جرى في وقعة الجمل وصفين، فإن أمير المؤمنين كان متوجعاً لذلك القتال، متشكياً من ما جرى... »[٤]، وكان سبب سروره ما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: « تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين، تقتلهم أولى الطائفتين بالحق »، وهذه المارقة هم أهل حروراء لما مرقوا من الإسلام، وخرجوا

١- انظر: ابن كثير، البداية والنهاية (٧/ ٢٩٠) وعبد الستار الشيخ، الخلفاء الراشدون (٦٢٠-٦٣٠).

٢ أخرجه أحمد في المسند (٣١/ ٤٨٦) وحسن الشيخ شعيب إسناده.

٣- البخاري رقم (٣٣٤٤) عن أبي سعيد رضي الله عنه.

٤- رسالة فضل أهل البيت وحقوقهم – شيخ الإسلام ابن تيمية ص ٣٠ – ٣١، بتعليق أبي تراب الظاهري، وانظر: كتاب الشريعة للآجري (١/ ٣٥٢-٣٦٦)، (٤/ ٢٠٧٩-٢٠٨٣).

عليه فكفروه وكفروا سائر المسلمين، واستحلوا دمائهم وأموالهم فلذا قاتلهم ﷺ[١]، فهذه الأعمال من علي ﷺ تبين ما كان عليه ﷺ، من الحراسة للاعتقاد الصحيح وحمايته من كل من يريد الانحراف به عن وجهه الحق، وكذلك فعل ابن عباس ﷺ وعن الصحابة أجمعين وهما علمان من أعلام آل البيت في ذلك الوقت ومن قادته، هذا خليفة المسلمين، وهذا عالمهم المقدَّم ﷺ أجمعين.

٣- قتال السبئية: في مقابل حركة الخوارج، حركة أخرى كانت في عهد علي ﷺ تهدد العقيدة أشد من تهديد الأولى لها، وهي حركة السبئية[٢]، التي واجهها بشدة لما جاؤوا – وكانوا أحد عشر رجلاً – وقالوا له: أنت الخالق البارئ فاستتابهم فلم يرجعوا، فأوقد لهم ناراً عظيمة وأحرقهم، وقال مرتجزاً:

لما رأيت الأمر أمراً منكراً أججت ناراً ودعوت قنبراً[٣]

وعلي ﷺ من أعلم الناس بأن تعظيم ما سوى الله تعالى تعظيماً يضاهي تعظيمه أو يقاربه أو يجانسه إخلال بعقيدة التوحيد والإيمان بالله تعالى فكيف وقد صرحوا له بأنه الخالق تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فإحلال إنسان أو أرض أو قوم أو أي شيء من الأشياء أو قيمة من القيم في منزلة التقديس والتأليه

١- المرجع السابق نفسه ص ٣٠.

٢- أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي، أظهرت فرقة السبئية بدعتها في عهد الإمام علي ﷺ، كما ذكر البغدادي في الفَرق بين الفِرق ص ١٥. وبين الإسفراييني أن ابن سبأ قال بنبوة علي في أول أمره، ثم دعا إلى الوهيته، ودعا الخلق إلى ذلك، فأجابته جماعة في عهد علي ﷺ.

٣- انظر: الملطي: التنبيه والرد ص ١٨.

شرك بالله عز وجل، وهو يعلم بحديث النبي ﷺ:(لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبد الله ورسوله)[١].

٤- ومن تمام عنايته بحماية جناب التوحيد، قوله في خلافته لأبي الهيَّاج بن حصين الأسدي: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ؟ أن لا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبراً مشرِفاً إلا سويته)[٢].

وهذا الأمر من أكبر أسباب حدوث الشرك في الأمم السابقة كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيره قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾[٣] قال: (صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما وَدٌّ فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد، ثم لبني غُطيف بالجرف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمْدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم ان انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك

١- البخاري رقم (٣٤٤٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه احمد في السنن من حديث عمر رقم ١١٧، ٢٣٧، ٢٦٦، حاشية السندي.

٢- أخرجه مسلم (٩٦٩).

٣- أخرجه مسلم (٩٦٩).

وتنَسَّخ العلم عُبدت)[١]. ومن هنا جاءت الشريعة بتحريم كل ما يفضي إلى الشرك و منها ما فعله علي ﷺ، وقد فعله من قبل بأمر الرسول ﷺ.

- ومن ذلك ما رواه في صحيفته التي كتبها عن النبي ﷺ: لعن الله من ذبح لغير الله،...)[٢].

فالذبح لا يجوز إلا لله عز وجل وعلى اسمه، وقد قال الله تعالى: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡ ﴾[٣].

- السنة النبوية والتدوين:

عند الحديث عن السنة النبوية فإننا نجد عظم اهتمام الصحابة ﷺ عموماً وآل بيت النبي ﷺ خصوصاً في الاعتناء بها رواية وتدويناً وفقهاً واستنباطاً، فقد كان لهم القِدْح المعلَّى في مجال الرواية والحفظ لحديث النَّبي ﷺ والمعرفة بسنته، فنجد أن العلماء عدوا في المكثرين من الرواية عن النبي ﷺ ستة من بين الصَّحابة رضوان الله عليهم منهم: عبد الله ابن عباس، وعائشة ﷺ وخادم النَّبي ﷺ أنس بن مالك ﷺ.

وقد كان حظ آل بيت النبي ﷺ في ميراث العلم أكثر من غيرهم، ولعل في قول النبي ﷺ «... وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورّثوا العلم، فمن

١- أخرجه البخاري في كتاب التفسير ٧١ سورة نوح، باب (وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً) (فتح الباري ٨/ ٦٦٧).

٢- أخرجه الامام أحمد (٩٥٤) ومسلم (برقم ١٩٧٨) والنسائي (٧/ ٢٣٢) وغيرهم.

٣- أخرجه الامام أحمد (٩٥٤) ومسلم (برقم ١٩٧٨) والنسائي (٧/ ٢٣٢) وغيرهم.

أخذه أخذ بحظ وافر »[١]، إشارة إلى ذلك، حيث كان منهم علماء فاقوا غيرهم في هذا الميراث النبوي، وإذا نظرنا إلى ما ورثوه من العلم، فإننا نجد أن أزواجه ﷺ كان حظهم الأوفر في الرواية عنه، فلم يتقدمهن أحد من النِّساء في ذلك، فعائشة أحد المكثرين في الرواية عنه، من النساء والرجال أيضاً، وكذلك مولاه وخادمه أنس بن مالك ﷺ، وكذلك أيضاً ابن عباس رضي الله عنهما ونجد أن الإمام علياً أكثر الخلفاء الراشدين ﷺ عنه رواية، وكان على علم عظيم بسنة النَّبي ﷺ وقد كان أثره بارزاً، حيث كان لغيره من آل بيت النَّبي ﷺ أثرهم الكبير في البيئة العلمية آنذاك وهو ما يفهم من سؤال أبي جحيفة لعلي ﷺ: هل خصكم رسول الله بشيء بعد القرآن ؟! قال: لا، والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة إلا فهم يؤتيه الله عز وجل رجلا في القرآن، أو ما في هذه الصحيفة،قلت وما في الصحيفة ؟ قال:(العقل، فكاك الأسير ـ ولا يقتل مسلم بكافر »[٢]. وجاء بعض تفصيل لما في تلك الصحيفة في مصادر الرواية للسنة النبوية ، وقال أبو الطفيل ﷺ، سئل علي ﷺ: هل خصكم رسول الله بشيء ؟! فقال: ما خصنا رسول الله بشيء لم يعلم به الناس كافة، إلا ما كان في قراب سيفي هذا ، قال: فأخرج صحيفة مكتوب فيها،لعن الله من ذبح لغير الله،لعن الله من سرق منار الأرض، ولعن الله من لعن والده، ولعن الله من آوى محدثاً » [٣].

١- أخرجه أبو داود برقم (٣٦٤١) والترمذي (٢٦٨٢) وابن ماجة (٢٢٣) وابن حبان في صحيحه. وانظر الفتح (١/ ١٦٠).

٢- أخرجه البخاري في الصحيح (٦٩١٥،٦٩١٥،٣٠٤٧،١١١) المصنفين في الحديث.

٣- أخرجه مسلم برقم (١٩٨٧) والنسائي (٧/ ٢٣٢) المجتبى.

وقال له مولاه هانئ لما سأله ماذا يقول الناس ؟ قال لـه: يزعمـون أن عنـدك علماً من رسول الله ﷺ لا تظهره، قال: دون الناس ؟ قال: نعم، قال أرني السيف، فأعطيته السيف، فاستخرج منه صحيفة، فيها كتاب، قال: هذا مـا سـمعت مـن رسول الله ﷺ: « لعن الله من ذبح لغـير الله...» الحـديث[1]، وهـذا الحـديث يبـين بداية الغلو والاعتقاد في علي ﷺ حيث شعر بذلك علي نفسه، وأنه يدور كلام بين الناس كلام لا يعرف مصدره، فأحب أن يبين أنه لم يخص بشيء دون النـاس، ممـا يبطل كل الدعاوى التي تقول أنه لم يظهر ذلـك العلـم، وأنكـره هـو، ولـو كـان ذلك صحيحاً؛ أن عنده علم لم يخبر به، لكان كاتماً لـذلك العلـم، وحاشـاه مـن ذلك ﷺ[2]. وإذا أردنا تفصيل بعض ما سبق فسيكون حديثنا عن:

١ – السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: فقد كانت رضي الله عنهـا ذات قدر، ومحبوبة للنبي ﷺ ولسيدة نسـاء العـالمين فاطمـة رضي الله عنهـا ولآل بيتـه جميعاً وصحابته رضوان الله عليهم أجمعين.

– كما كانت مرجعاً لهم في معرفة سنة النبي ﷺ خاصة فقد كانـت أمينـة عـلى أحاديث رسول الله ﷺ وأوامره في بيته وما يحدث به ومن يحدث عنـه، فحفظـت ووعت أقوال رسول الله وأفعاله، وكانت تنقلهـا بأمانـة وصـدق وتحـدث عنهـا

---

١ – أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ١٥٣) وسكت عليه الذهبي.

٢ – لعل من الموافقات العجيبة أن يكون كتاب أبي بكـر ﷺ في الصـدقات، وكتـاب عـلي في العقـول والديات، فكانت الفتنة التي باشرها أبو بكر في أول عهده في الصدقات والزكاة، وكانت الفتنـة التي باشرها علي ﷺ فيما يخص العقول والديات والأخذ بالقصاص لقتلة عثمان ﷺ.

بوعي ومسئولية[١]، قال أبو موسى الأشعري ﷺ: ما أشكل علينا – نحن أصحاب رسول الله ﷺ – حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً[٢].

وقال الزهري: لو جمع علم الناس كلهم ثم علم أزواج النبي ﷺ لكانت عائشة أوسعهم علماً [٣].

– وكانت رضي الله عنها من أحرص الناس على ألفاظ الرواية وعدم التساهل بالألفاظ التي تحيل المعاني، بل كانت تتحرج من الرواية بالمعنى، ولا أدل على ذلك من كثرة استدراكها على الصحابة ﷺ حتى أفرد العلماء ذلك بمصنفات خاصة[٤].

– فقد استدركت على كل من:

١ – أبيها أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ والصديق الأكبر:

– في نزول الأبطح عند النفر من منى.

٢ – أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ:

---

١ – أم المؤمنين السيدة عائشة وأمانة الرواية، د. محمد عبده يماني، ص ١٧.

٢ الموطأ (٦/ ١٢٤).

٣– أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٦٦).

٤ – منهم: الفقيه المحدث المشهور أبو منصور عبد المحسن بن محمد بن علي الشيخي البغدادي (ت ٤٨٩) جزء فيه استدراك ام المؤمنين عائشة على الصحابة ومنهم الإمام الزركشي (ت ٧٩٤) في الإصابة لا يراد ما استدركته عائشة على الصحابة. ومنهم السيوطي (ت ٩١١) حيث لخص كتاب الزركشي وزاد عليه وسماه عين الإصابة فيما استدركته السيدة عائشة على الصحابة. ومنهم د. سليمان الثنيان، في رسالته: استدراك بعض الصحابة ما خفي على بعضهم من السنن جمعاً ودراسة وعائشة أكثرهم رضي الله عنها وعنهم. وكلها مطبوعة متداولة.

- في نزول الأبطح عند النفر من منى.

- صلاة النافلة بعد العصر.

- الميت يعذب ببكاء أهله عليه.

٣- أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ:

- المسح على التساخين[١].

٤- جابر بن عبد الله ﷺ:

- الغسل من التقاء الختانين.

٥- زيد بن ثابت ﷺ:

- الغسل من التقاء الختانين.

٦- زيد بن أرقم ﷺ:

- في البيع إلى العطاء[٢].

٧- أبي الدرداء ﷺ:

- وقت الوتر.

٨- عبد الله بن مسعود ﷺ:

- من أحب لقاء الله احب الله لقاءَه.

٩- أبي موسى الأشعري ﷺ:

١- جزء فيه استدراك أم المؤمنين عائشة على الصحابة، انظر: (ص ٦٦-)، لأبي منصور عبد المحسن بن محمد الشيخي البغدادي ت(٤٨٩هـ).

٢- جزء أبي منصور الشيخي ص ٩٨، وهو مما فات د.الثنيان.

- تعجيل الفطر للصائم.

١٠- أخيها: عبد الرحمن بن أبي بكر.

- الأجر بإسباغ الوضوء.

١١- أبي هريرة رضي الله عنه:

- الطيرة في المرأة والدابة والدار.

- قطع المرأة والحمار للصلاة.

- حكم الوتر.

- من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.

- صيام من أصبح جنباً.

- حكم ولد الزنا.

- المشي في نعل واحدة.

- دخلت النار امرأة في هرة حبستها.

- ما جاء في ذم من اشتغل بالشعر عن ذكر الله.

- كان كلام النبي ﷺ فصلاً.

١٢- ابن الزبير رضي الله عنه:

- في مقدار ما تأخذه المرأة من شعرها[1].

١٣- عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما:

- حكم نقض شعر المرأة لغسل الجنابة.

١- خبر د الشيخي ص ٩٨، فات د. الثنيان.

١٤- عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما:

- الوضوء من القبلة.

- موت الفجاءة.

- سماع موتى الكفار لكلام النبي ﷺ يوم بدر.

- أذان ابن أم مكتوم حين يطلع الفجر.

- الشهر يكون تسعة وعشرون ويكون ثلاثين.

- هل اعتمر النبي ﷺ في رجب.

- نزول الأبطح للنفر من منى.

- جواز لبس المحرم للخفين دون قطع.

١٥- عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

- في رؤية الله في الدنيا.

- من أهدى هدياً لم يحرم عليه شيء كان له حلالاً.

١٦- أبي سعيد الخدري رضي الله عنه:

- لا تسافر المرأة للحج وغيره إلا بمحرم.

١٧- أزواج النبي ﷺ:

- النبي لا يورث.

١٨- واستدركت أيضاً عليهم:

- في صلاة الجنازة في المسجد[١].

- كفن رسول الله ﷺ.

١٩ – شيبة بن عثمان:

- في بيع ثياب الكعبة[٢].

٢٠ – أم سلمة رضي الله عنها.

- في رؤية الغلام لها بعد ما يكبر[٣].

- أنها كانت من أكثر الصحابة ﷺ تلقياً مباشراً عن النبي ﷺ، وإن روت عن غيره فهو قليل في جانب ما سمعته منه ﷺ بخلاف غيرها من الصحابة ﷺ ولذلك روى عنها من الصحابة جمع منهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وابنه عبد الله، وأبو هريرة محدث الصحابة وراوية النبي ﷺ وأبو موسى الأشعري وابن عباس، وغيرهم كثير وجماعات من التابعين رضي الله عن الجميع.

فأبو هريرة ﷺ هو أكثر الصحابة رواية، إلا أن ما صرح فيه بالسماع وما يدل عليه عن النبي ﷺ قليل لا يتجاوز الثلاثمائة إلا قليلاً بالمكرر كما في مسند أحمد بن حنبل مع حرصه ﷺ على ذلك، وعائشة في هذا أكثر منه رواية مباشرة وكان يراجعها كثيراً.

١- انظر: استدرك بعض الصحابة ما خفي على بعضهم من السنة د.سليمان بن صالح الثنيان واستدراك جزء الشيخي ص ١٠٨.

٢- جزء فيه استدراك أم المؤمنين ص ٦٠.

٣- جزء الشيخي ص ١٠٨.

- كثرة ما انفردت به عن غيرها من الرواية، فقد ذكر أنها روت/ ٢٢١٠ بالمكرر[١]، وان أبا هريرة ﷺ روى ٥٣٧٤ ح. وما تفرد به لا يتجاوز العشرات بل أن أكبر عدد قيل في ذلك ٤٠ ح أما عائشة فزادت عليه أضعافاً، فقيل ١٣٨ ح.

ومن الآثار ٢٧ والخلاصة التي توصلت إليها بعض الدراسات كما يلي[٢]:

١- إن مجموع الأحاديث المروية عنها في الكتب التسعة (خمسة ألاف وتسعمائة وخمسة وستين حديثاً) (٥٩٦٥ ح) يعني بالمكرر.

٢- أن من انفردت به دون تكرار هو (مائة وثمانية وثلاثين حديثاً) (١٣٨ ح).

٣- أن الآثار التي انفردت بروايتها (سبعة وعشرين أثراً) (٢٧ أثراً).

٤- أن الأحاديث التي روتها وانفردت بها، ووجد بعضها مكرراً،بلغ مجموع هذه الأحاديث التي انفردت بها مع التكرار (سبعمائة وأربعين حديثاً) (٧٤٠ ح) فمنها ما تكرر مرة واحدة،ومرتين،وثلاثة... إلى تسع،وبعضها تكرر خمسة عشرة مرة للفظ نفسه وأحيانا بالمعنى،وهناك ما تكرر واحداً وعشرين مرة .

٥- أن الآثار التي انفردت بها هي (٢٧) أثراً. قد وجد بعضها متكرراً وقد أصبح عدد الآثار التي انفردت بها مع المكرر خمسة وثلاثين أثراً.

١- كما نص عليه ابن حزم في رسالته عن ما لكل صحابي من العدد (ص ٧٩) وعند الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢/ ١٣٩) والزركشي في الإجابة (ص ٣٣) والسيوطي في تدريب الراوي (٢/ ٣١١).

٢- انظر: السيدة عائشة ام المؤمنين وأمانة الراوي ص (١٤٧-١٤٩).

٦- وبهذا يكون مجموع ما انفردت به السيدة عائشة من حديث وأثر مع المكرر منه هو (ستمائة واثنين عشرين أثراً) (٦٢٢ أثراً).

- شاركها في رواية ما روته (خمسمائة وخمسين وسبعين حديثاً (٥٧٥ ح) ويمكن تلخيص ما روته بما يلي:

- عدد الأحاديث في الكتب التسعة ٥٩٦٥ حديثاً.

- عدد الأحاديث المكررة ٥٢٢٥ حديثاً.

- عدد الأحاديث الباقية بعد حذف المكرر ٧٤٠ حديثاً.

- عدد الأحاديث التي شاركها فيها الصحابة ﷺ باللفظ أو بالمعنى ٥٧٥ حديثاً.

- عدد الأحاديث والآثار التي انفردت بها دون تكرار ١٦٥ حديثاً وأثراً.

- عدد الآثار التي انفردت بها دون تكرار ٢٧ أثراً.

- عدد الأحاديث التي انفردت بها دون تكرار ١٣٨ حديثاً.

وإذا قارنا هذه النتيجة مع ما انفرد به أبو هريرة ﷺ وهو (٤٠ حديثاً) فقد انفرد بأربعين حديثاً[1].

وهو أزيد مما كان يقول به العلامة محمد المنتصر الكتاني، حيث كان يقول بان ما انفرد به لا يزيد عن أصابع اليدين[2].

١- انظر: السيدة عائشة وأمانة الرواية ص ١٥٢.

٢- وألفاظ في كتاب د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي: أبو هريرة وكتاب دفاع عن أبي هريرة ص ٤٨٢ حيث قال: وأبو هريرة لم ينفرد بكثير مما روى، وإذ اغلب ما يرويه مروي عن صحابة آخرين.

فإذا ما انتقلنا للحديث عن عناية اصحاب الصحيحين بحديثها فإننا نجد أثر روايتها بارزاً فيهما، فنجد أن الترجمة (الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها) له ظهوره فقد أخرج البخاري في صحيحه هذه الترجمة في (٢١٠) مواضع من ثمانية عشر طريقاً إليها.

ومسلم في مئة وخمس وعشرين ١٢٥ موضعاً، من سبعة عشر طريقاً إليها[١].

وإذا نظرنا إلى الترجمة (هشام بن عروة، عن أبيه، عائشة رضي الله عنها) فقد أكثرا من إخراجها، فعند البخاري (٢٣٨) موصوفاً من طريق ٢٨ إليها، ومسلم (٢٦٧) موصوفاً من طريق ٤٣ إليها[٢]، فكيف له تتبعنا كل رواياتها والرواة عنها في السنن وغيرها وقد سبق ذكر العدد بالخلاصة السابقة.

- إذا انتقلنا إلى ابن عباس ﷺ، وهو من المكثرين في الرواية فقد روى ١٦٦٠ حديثاً[٣]، وكان لدعوة النبي ﷺ أثرها في حياته وتوجيه مسيرته العلمية ﷺ، ومن المعلوم أن ابن عباس رضي الله عنهما كان صغيراً عندما قيض النبي ﷺ ولحق بالرفيق الأعلى، فأراد أن يعوض ما فاته من السَّماع والعلم بسؤال مَن هو أكبر سناً وأكثر علماً، فقال: « وجدت عامة علم رسول الله ﷺ عند هذا الحي من الأنصار، وإني كنت لآتي باب أحدهم فأقيل ببابه،ولو شئت أن يؤذن لي عليه لأُذن لي؛ لقرابتي من رسول الله ﷺ ولني كنت ابتغي بذلك طيب نفسه »[٤]،

١- انظر: المدرسة الحديثية في مكة والمدينة (١/ ٤٠٦).

٢- انظر: المدرسة الحديثية (١/ ٤١٦-٤١٧).

٣- بحسب ما ذكره ابن حزم في ما لكل صحابي من العدد ص ٨٠.

٤- أخرجه الفسوي في المعرفة والتاريخ (١/ ٥٤٠) وابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/ ٣٦٨).

وبسبب هذه الهمة العالية، ولبركة دعوة النبي ﷺ التي كان لها أثرها الكبير، فقد قيض الله عز وجل لابن عباس تلاميذ بررة حملوا العلم ونشروه في الآفاق ويكفي في هذا الباب شهادة الإمام أحمد – وهو من هو – حيث قال: أصحاب ابن عباس هم المحدثون والمفتون لهم[١].

وإذا نظرنا إلى مروياته في الكتب التسعة فنجد احتفال أصحاب الصحيحين والسنة بحديث ابن عباس رضى الله عنهما.

فنجد أن له في الصحيحين أكثر من مائتين حديث،فهي عند الذهبي[٢] (٢٠٤) أحاديث تفصيلها: ق:٧٥ ح. غ: ١٢٠ ح. م:٩.

فيكون له عند خ: ١٩٥ ح. وعند م: ٨٤ ح.

أما عند ابن حجر وهو أخبر بالبخاري فقد زاد على ما ذكره الذهبي فعنده أن له عند خ (٢١٧ ح)[٣].

وأما العامري في الرياض المستطابة[٤] فزاد على ما ذكر الذهبي أيضاً فله عندهما (٢٣٤ ح)، ق: ٧٥. غ: ١١٠. م: ٩[٥].

١- العلل ومعرفة الرجال (١/ ٢٩٤) برقم ٤٧٧.

٢ كما في سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٥٩)

٣- هدى الساري (٤٧٥).

٤- ص ١٦٩.

٥ نظر لطرق الشيخين عنه، المدرسة الحديثية في مكة والمدينة وأثرها في الحديث وعلومه(١/ ٢٧١-٢٧).

وانظر فيه عناية أصحاب السنن بمروياته وطرقها عندها مع إحصائيتها.

- الاتجاهات الفقهية عند الآل والأصحاب:-

كان الفقه حاجة الناس اليومية، لبيان أحكام الشرع فيما يأتون ويذرون من الأعمال، ولذلك كان كل من كان عنده علم بأحكام الشريعة وفهمها موضع نظر الناس واهتمامهم لحاجتهم في السؤال عما يحتاجونه في بيان الحكم الشرعي، هذا في زماننا، فكيف بزمان هو خير القرون والناس فيه هم خيار الناس، فهم من أشد الناس حرصاً على معرفة الحكم الشرعي، وطلب رضا الله تعالى والتباعد الخطأ أو ما يجلب عليهم النقص في دينهم، ولذلك كان من يشك في شيء يرجع فيه حتى يتبين له الحق.

لا تخفى على أحد قيمة الفقه، وأهميته في حياة الأمة، وحاجتها إليه في كل وقت، كما قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله: « إن الفقه عليه مدار العلوم؛فإن اتسع الزمان للتزيد من العلم، فليكن من الفقه؛ فإنه الأنفع.....» وقال أيضاً: وجمهور العلم الفقه»[1] وقال أيضاً أعظم دليل على فضيلة شيء النظر الى ثمرته، ومن تأمل ثمرة الفقه، علم أنه أفضل العلوم.....»[2].

وقال الشافعي: «العلم علمان: علم الفقه للأديان، وعلم الطب للأبدان، وما وراء ذلك بلغة مجلس»[3].

---

١ صيد الخاطر ص ٣٨٠.

٢ صيد الخاطر ص (١٧٠-١٧١) ط دار الفكر.

٣ تعليم المتعلم ص ٩.

فقد كانت أبيات رسول ﷺ في حياته،وبعد مماته موضع اعتناء الناس في ذلك الزمان،بل اشتدت عنايتهم بعد لحاقه بالرفيق الأعلى ﷺ، لما يعلمونه من فقههم وفهمهم للأحكام هذا الدين بسبب المباشرة في التلقي عن المعصوم ﷺ.

ولذلك اعتمد العلماء أهل الفتيا والاجتهاد وفي ذلك الزمان كان في مقدمتهم آل بيت النبي ﷺ.

قال ابن حزم: المكثرون من الصحابة ﷺ فيما روى عنهم من الفتيا: عائشة أم المؤمنين، عمر بن الخطاب، ابنه عبد الله، علي بن أبي طالب، عبد الله بن العباس، عبد الله بن مسعود، زيد بن ثابت.

فهم سبعةٌ يمكن أن يجمع من فتيا كل واحد منهم بسفر ضخم، وقد جمع أبو بكر بن موسى بن يعقوب بن أمير المؤمنين المأمون فتيا عبد الله بن العباس في عشرين كتاباً، وأبو بكر المذكور، أحد أئمة الإسلام في العلم والحديث.

والمتوسطون منهم فيما روى عنهم من الفتيا ﷺ:

أم سلمة أم المؤمنين، أنس بن مالك.....»[1].

وعلم الفتيا دواء دين الناس حينما تكون صادرة من عالم متضلع من نصوص الوحي.

قال يحيى بن عمار: العلوم خمسة: وذكر منها: وعلم هو دواء الدين، وهو علم الفتوى، إذا نزل بالعبد نازلة احتاج إلى من يشفيه منها، كما قال ابن مسعود.

---

١ - ابن حزم الإحكام في أصول الأحكام (٥/ ٨٧ – ٨٨).

وقد كانت الصدارة فيها للآل مع الأصحاب في زمن الخلفاء؛ فعائشة تصدرت الجميع في ذلك كما ذكر ابن حزم، ثم ذكر من المكثرين في ذلك الزمان: علي بن أبي طالب، وابن عباس، وقد كان لذلك أسباب ومظاهر دالة على عظيم ما كانوا عليه في الفقه، من ذلك:

١- ما أخرجه الحاكم وصححه عن علي ﷺ، أنه قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن، فقلت: يا رسول الله، بعثتني، وأنا شاب أقضى بينهم، ولا أدري ما القضاء، فضرب صدري بيده، ثم قال (اللهم اهد قلبه، وثبت لسانه) فو الذي فلق الحبة، ما شككت في قضاء بين اثنين[١].

٢- وأخرج الحاكم عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: «كنا نتحدث أن أقضى أهل المدينة علي »[٢].

٣- أخرج ابن سعد عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: قال عمر بن الخطاب « علي أقضانا» وعمر ﷺ تولى القضاء زمن الصديق ولذلك كان يستعين به في القضاء في زمانه.

٤- فقد أخرج ابن سعد عن سعيد بن المسيب أنه قال: كان عمر بن الخطاب، يتعوذ بالله من معضلة ليس فيها أبو حسن.

٥- وأخرج ابن عساكر عن عائشة أنها قالت لما ذكر عندها علي، أما إنه أعلم من بقي بالسنة.

١- السيوطي، تاريخ الخلفاء ص١٣٣.

٢ السيوطي ص ١٧١.

٦- وقال مسروق بن الأجدع: انتهى علم أصحاب رسول الله ﷺ إلى عمر، وعلي، وابن مسعود ﷺ، ونحن نعلم قول عمر وابن مسعود في حق علي ﷺ أجمعين.

٧- وفي قول ابن عباس رضي الله عنهما ما يصور المشهد الفقهي في المدينة حيث قال: إذا حدثنا ثقة عن علي بفتيا لا نعدوها. أخرجه ابن سعد في طبقاته.

وفي هذا دلالة على المكانة العالية التي كان يحظى بها علي ﷺ.

٨- ولم يكن ﷺ يجيب من سأله فقط، بل كان يبدأ الناس بذلك، ليتجرأ الناس على السؤال فيفتح لهم الباب، فقد أخرج ابن سعد عن سعيد بن المسيب، أنه قال: لم يكن أحد من الصحابة يقول: سلوني إلا علي ﷺ.

٩- وكان ﷺ رأساً في الفرائض كما قال ابن مسعود ﷺ فيما أخرجه ابن عساكر عنه أنه قال: أفرض أهل المدينة، وأقضاها علي بن أبي طالب ﷺ.

١٠- ومن المسائل التي اشتهرت عنه مما يدل على علمه الراسخ بها، ما ذكره الزرقاني في الفرائض (في الفريضة النبوية) وهي من القضايا الشهيرة بين الفقهاء: أنه كان على المنبر يخطب وهو يقول:الحمد لله الذي يحكم بالحق قطعاً، ويجزي كل نفس بما تسعى، وإليه المعاد والرجعى، فوقف سائل وقال: زوجة وأبوان

وابنتان كيف نقسم التركة ؟ فأجاب على البديهية: صار ثمنها تسعاً. في محفله العظيم من غير تأمل ولا تردد، ثم استرسل في خطابه[١].

- فكم قضية راجع فيها عمر بن الخطاب ﷺ علياً فيرجع عمر لرأيه وقوله إنصافاً ووقوفاً مع الحق، وقد ذكر ابن القيم مسائل منها[٢]. ومنها: قضية المجنونة التي أمر عمر برجمها، لأنها وضعت لستة أشهر، فرد علي عليه وقال: إن الله يقول: وحمله وفصاله ثلاثون شهراً، وقال: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾[٣]. فيؤخذ فيهما معاً أن الحمل ستة أشهر، وقال له: إن الله رفع القلم عن

---

١ قال الألباني في الإرواء (٦/ ١٤٦): " لم أقف عليه بهذا التمام، وإنما أخرجه البيهقي (٦ / ٢٥٣) من طريق شريك عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي رضي الله عنه: " في امرأة وأبوين وبنتن: صار ثمنها تسعا ".

قلت: وهذا سند ضعيف من أجل الحارث وهو الأعور وشريك وهو ابن عبد الله القاضي وكلاهما ضعيف.

وأورده الرافعي فقال: " (المنبرية) سئل عنها علي وهو على المنبر: وهي زوجة وأبوان وبنتان فقال مرتجلا: صار ثمنها تسعا. فقال الحافظ في تخريجه (٣ / ٩٠): رواه أبو عبيد والبيهقي وليس عندهما: أن ذلك كان على المنبر.

وقد ذكره الطحاوي من رواية الحارث عن علي. فذكر فيه المنبر".

٢- في كتابة الطرق الحكيمة.

٣ قال الألباني في الإرواء (٦/ ١٤٦): " لم أقف عليه بهذا التمام، وإنما أخرجه البيهقي (٦ / ٢٥٣) من طريق شريك عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي رضي الله عنه: " في امرأة وأبوين وبنتن: صار ثمنها تسعا ".

قلت: وهذا سند ضعيف من أجل الحارث وهو الأعور وشريك وهو ابن عبد الله القاضي وكلاهما ضعيف. =

المجنون، فكان عمر يقول: لولا علي لهلك عمر[١]، وهذا من الاستنباط الدقيق، والفهم العميق، والاهتداء للاقتران في الأدلة وجمعها والاستفادة من دلالة الجمع بينها.

وأما ابن عباس فقد أصابته بركة دعوة النبي ﷺ له بالحكمة، وبالفقه في الدين، والحكمة تعني: إصابة الحق وفق أحكام الشرع في بعض معانيها، وقد كان ابن عباس على جانب عظيم منها، ولا أدل على فقهه في الدين من مناظرته للخوارج ومناقشته أدلتهم، واستدلاله عليهم حتى رجع معه ألفان منهم وهو خبر من الشهرة بمكان[٢]، وقد هيأ ابن عباس نفسه منذ الصغر لتحقيق دعوة النبي ﷺ فيه، روى عكرمة عن مولاه ابن عباس رضي الله عنه انه قال: لما قبض رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار: هلم فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ، فإنهم اليوم كثرة، قال: فقال: وا عجباً لك يا ابن عباس ! أترى الناس يفتقرون إليك، وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ مَن فيهم ؟! قال: فتركت ذلك، وأقبلت أسأل أصحاب رسول الله ﷺ عن الحديث، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه وهو قائل فأتوسد ردائي على بابه تسفي الريح عليَّ التراب،

=وأورده الرافعي فقال: (المنبرية) سئل عنها علي وهو على المنبر: وهي زوجة وأبوان وبنتان فقال مرتجلا: صار ثمنها تسعا. فقال الحافظ في تخريجه (٣/ ٩٠): رواه أبو عبيد والبيهقي وليس عندهما: أن ذلك كان على المنبر.

وقد ذكره الطحاوي من رواية الحارث عن علي. فذكر فيه المنبر".

١ قال شيخ الإسلام في المنهاج (٦/ ٤٥): "أن هذه الزيادة ليست معروفة في هذا الحديث ".

٢- انظر: الكامل للمبرد: (٣/ ١٣٥).

فيقول لي: يا ابن عم رسول الله ما جاء بك ؟ ألا أرسلت إليَّ فآتيك ؟ فأقول: لا، أنا أحق ان آتيك، فأسأله عن الحديث. فعاش ذلك الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي ليسألوني، فيقول: هذا الفتى كان أعقل مني)[١].

وقد حقق الله لابن عباس ما أعد نفسه له، حتى صار علماً في الناس في زمان الصحابة ﷺ، فقد كان كبار الصحابة ﷺ ينتهون إلى قوله كما قال ليث: وقيل لطاوس: تركت أصحاب النبي ﷺ وانتهيت إلى قول الغلام ؟! قال: أدركت سبعين من أصحاب النبي ﷺ إذا تداءوا في شيء انتهوا إلى قول ابن عباس ﷺ [٢]، ولهذا قال الإمام أحمد عن أثر ابن عباس في الناس:(أصحاب ابن عباس هم المحدثون والمفتون)[٣].

وعن مدى تأثيره في الفقه يبينه قول إمام الحرم سفيان بن عيينة: قال ابن أبجر: عبد الملك بن سعيد الكوفي: (لم يفقه أهل مكة حتى أتاهم ابن عباس)[٤]. هذا في مكة، أما في البصرة التي كان والياً عليها من قبل علي ﷺ، فقد اعتنى بتفقيه الناس ولم تشغله ولايته عن الفقه الذي هو غذاؤه: فقد كان يغشى الناس في رمضان، وهو أمير البصرة فما ينقضي الشهر حتى يفقههم[٥].

١- أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/ ٣٦٧-٣٦٨) والفسوي في المعرفة والتاريخ (١/ ٥٤٢).
٢- أخرجه البخاري في تاريخه (٥/ ٤).
٣- العلل ومعرفة الرجال (١/ ٢٩٤).
٤ أخرجه الفسوي في المعرفة والتاريخ (١/ ٥٤٠).
٥ انظر: الاصابة (٤/ ١٥٠).

- نماذج من فتياه التي انفرد بها عن جمهور الصحابة:

مما يؤكد استقلالية شخصيته الفقهية وانفراده عن بقية الصحابة بأقوال وآراء مستنبطة، واجتهادات لم يرد فيها نص، وهذه نماذج من فتاويه التي انفرد بها [١]:

١- إقامة الجدة مقام الأم في الميراث عند عدمها، واستحقاقها سهمها، قياساً على حال الجد مع الأب عند عدمه.

٢- لا يجب على المختلعة العدة، ويكفيها استبراء رحمها بحيضة.

٣- لا يقام حد السرقة على العبد.

٤- لا تجب النفقة للمعتدة من الوفاة، ولا للمعتدة من الطلاق البائن، ولو كانت حاملاً.

٥- الأخوات لا يعتبرن عصباتٍ مع البنات في المواريث.

٦- الأخوة لأم يقتسمون الميراث بينهم كسائر الأبناء والأخوة، أي للذكر مثل حظ الأنثيين.

٧- لا تستحق البنات الثلثين من الميراث إلا إذا كن ثلاثاً فصاعداً.

---

١ موسوعة ابن عباس الفقهية د محمد رواس قلعجي ١/ ٣٧-٣٩

منهج ابن عباس في الاجتهاد:

١ - النظر في النصوص:

كان ابن عباس ﷺ إذا عرضت له مسألة من المسائل، يطلبها في كتاب الله تعالى، فإن لم يجدها في كتاب الله تعالى طلبها في سنة رسول الله ﷺ، فكان يأخذ بما في كتاب الله، وبما في سنة رسول الله ﷺ، من غير نقاش، لأن الأخذ بهما دين يجب الأخذ به، وافق الرأي أو خالفه، ولقد كان ترجمان القرآن ﷺ، لنبوغه في فهم القرآن وتفسيره.

٢ - النظر في فتاوى الصحابة:

١ - كان يبدأ في فتاوى وأقضية أبي بكر و عمر، لأن أكثر ما يصدران عنه كان عن مشورة [١].

٢ - فإن لم يجدها في فتاويهما طلبه في فتاوى علي ﷺ، فقد كان ﷺ يقول:(إذا ثبت لنا عن علي قولٌ لم نعده إلى غيره).

٣- ثم يختار من فتاوى الصحابة، بعد أن يخضعها إلى منهجه الخاص في الاختيار والاجتهاد القائم على ما يلي:

عرض ما أثر عن الصحابة على قوانين اللغة العربية وأساليبها في الكلام،فإن استقام عنده وفق هذه القوانين أخذ به، وإن لم يستقم عنده عدل عنه إلى غيره.

ومثال ذلك: فتواه في ميراث الأم مع الإخوة، فإن أبا بكر وعمر وجمهور الصحابة كانوا يرون أن وجود أخوين أو أختين للميت، ينقص ميراث أمه من

---

١ سنن الدارمي ١/ ٩٥.

الثلث إلى السدس، لكن ابن عباس لا يرى هذا النقص من الثلث إلى السدس إلا بوجود إخوة ثلاثة فأكثر، لأن لفظ (الإخوة) في قوله تعالى: «فإن كان لـه إخـوةٌ» جمع، وأقل الجمع ثلاثة، ومثل ذلك تماماً في ميراث البنـات إذا انفـردت أخـذت نصفاً، وإن كانتا اثنتين يقول ابن عباس: تستحقان النصف، ولا يكون الثلثان إلا مع ثلاث فأكثر، خلافاً لجمهور الصحابة.

وكذلك يعرض هذا المأثور على قواعد الشريعة العامة، فإن اتفق معها أخذه، وإن اختلف مع هذه القواعد فيما يرى تركه، والتزم بهذه القواعـد العامـة عنهـا. مثاله: القول بالعول في الفرائض، فقد ذهـب إليـه كثـيرٌ مـن الصـحابة، بحيـث يدخل النقص على جميع الورثة، كل بمقدار استحقاقه ونسـبته، أمـا ابـن عبـاس كان يرى العول، أخذاً منه بالقاعدة العامة، أن الأقرب يحجب الأبعد في الميراث.

ثم يعرض ذلك على الأصول الفكرية الثابتة، فإن أقرته أخذ به، وإن جانبتـه فيما يرى أباح لنفسه تركه، وتمسك بهذه الأصول الفكرية الثابتة، ولم يعدل عنهـا. ومثاله: مسألة أقل مدة الحمل، فقد وقعت هذه المسـألة زمـن الخليفـة عمـر بـن الخطاب ﷺ،فقد هم بأن يرجم المرأة التي ولدت لستة أشهر، على أنها زانية، فقال ابن عباس: (إنهـا تخاصـمك في كتـاب الله تعـالى بقولـه: (والوالـدات يرضـعن أولدهن حولين كاملين) أي أربعةٌ وعشرون شهراً، وحكى في الأخرى: (وحملـه وفصله ثلاثون شهرا)، وعلى هذا يكون أقل مدة الحمل ستة أشهر، فهذا منهجـه

في الاختيار من أقوال الصحابة، وهو منهج علمي موضوعي، راعى فيه قواعد اللغة، وقواعد الشريعة، وأصولها الفكرية.

٣- أخذه بالقياس:

ناظر ابن عباس الخوارج، واستدل على فعل علي بمحض القياس، إذ قالوا له عن علي: إنه حكم الرجال، والله تعالى يقول (إن الحكم لله) فحجهم ابن عباس بالقياس على تحكيم الرجال في جزاء الصيد، قال ابن القيم: (وقياسه المذكور من أحسن القياس وأوضحه)[١] وقد أنكر ابن عباس على زيد بن ثابت ﷺ مخالفته للقياس، في مسألة الجد والإخوة، فقال: ألا يتقي الله زيدٌ! يجعل ابن الابن ابناً، ولا يجعل أبا الأب أباً! وهذا محض القياس[٢] كما نرى، ونقل عنه في نفسها المسألة قوله:يرثني ابن ابني دون أخي،ولا أرث ابن ابني دون أخيه[٣] وهذا محض القياس أيضاً.

٤- قوله بالمصلحة وفتياه بها:

أفتى ابن عباس بجواز الاستمناء لمن احتاج إليه، ولم يجد النكاح الحلال، فقد أتاه غلامٌ فجلس مع القوم، ثم جعل القوم يقومون، والغلام جالس، فقيل له: قم، فقال ابن عباس: دعوه، ما جلس إلا لشيء، فلما خلا المجلس، سأله ابن

١- إعلام الموقعين ١/ ١٦٤.

٢- إعلام الموقعين ١/ ١٦٤.

٣- المحلى ٩/ ٢٨٧.

عباس، فقال الغلام: إني غلامٌ شابٌ أجد غُلمةً شديدة، فأدلك ذكري حتى أنزل، فقال ابن عباس: (خيرٌ من الزنا، ونكاح الأمة خيرٌ منه)[١].

فالمصلحة هنا واضحةٌ في اختيار أهون الشرَّين وأقل الضررين، وكذلك ترخيصه في بيع المائعات التي حلت فيها النجاسة، لأنها غير نجسة العين، ويرخص بالانتفاع بها[٢]، وأمثلة ذلك كثيرةٌ، تلتمس من فتاويه ﷺ[٣].

القرآن الكريم جمعه وقراءاته وتفسيره:

من المعلوم أن القرآن الكريم بحر العلوم والحكم كلها،ويحتاج إلى أذن واعية،وقلب منفتح يرعى ما يلقى إليه ويتدبره، فهو البحر المحيط الذي يتشعب منه علوم الأولين والآخرين ولذلك كان الصحابة يعرفون قدر الإنسان بمقدار ما عنده من القرآن، وكان الناس ينظرون إلى القراء نظرة احترام بالغة، والنصوص في ذلك كثيرة جداً، وكان القرآن شهادة تقديم صاحبه إلى الصلاة أو الولاية، وحمل الراية، حتى اذا استشهد من حفاظ القرآن نحو سبعين في عزوة اليمامة سنة اثني عشرة للهجرة هال الأمر عمر بن الخطاب عند سماع الخبر، وفزع لذلك فزعاً شديداً؛ فدخل على أبي بكر الصديق وأخبره الخبر وبين له ما يخشاه من ضياع القرآن إذا كثر القتل في القراء والحفاظ للقرآن الكريم، وبعد أن شرح

١- سنن البيهقي ٧/ ١٩٩.

٢- المحلى ١/ ١٣٨.

٣- انظر: اجتهادات الصحابة (ص ١٢١-١٢٧)، محمد معاذ الخن.

الله صدر أبي بكر لما قاله عمر وناقشه فيه طويلاً عزم على جمعه واختار للمَهمة زيد بن ثابت ﷺ، وندعه يحدثنا عن ذلك فيقول:

أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر بقراء القرآن، وإني أخشى أن القتل بالقراء في المواطن؛ فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، فقلت لعمر: كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال عمر: هو والله خير، فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر، قال زيد: قال أبو بكر: إنك شاب عاقل، لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ تتبع القرآن فاجمعه، فو الله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليَّ مما أمروني به من جمع القرآن... الحديث[1].

وقد كان الصحابة جميعاً رضوان الله عليهم مؤيدين وموافقين لصنع أبي بكر هذا، ومنهم علي وابن عباس وآل بيت النبي ﷺ كلهم.

فلم ينقل عن أحد من الصحابة اعتراض على ما فعله أبو بكر، بل نجد التاريخ يحدثنا مبادرتهم للإتيان إلى زيد بما عندهم من القرآن مكتوباً بكل رضا وطيب منهم ﷺ.

بل جاءت النصوص التي فيها الثناء العطر على صنيع أبي بكر ﷺ، فمن ذلك ما أخرجه أبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحب عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه

---

١ - أخرجه البخاري.

قال: (أعظم الناس في المصاحف أجراً أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر هو أول من جمع كتاب الله)[1].

وكذلك الحال بالنسبة لجمع عثمان ﷺ، وقد كان عمل عثمان ﷺ من الأهمية بمكان من الناحية القرائية، فقد مضت ست سنوات من عهده ﷺ، هادئة نسبياً ولم تحدث فيها خلافات في حروف القرآن، فلما أطلت الفتنة برأسها رأى عثمان ومعه الصحابة ﷺ أن ينشروا المصحف – الذي انتسخ من صحف الصديق التي كانت عند حفصة رضي الله عنها – المجموع على أوسع نطاق.

وقد تولى ذلك زيد بن ثابت أيضاً، وكان المنهج الذي سلكه في كتابته وجمعه واحداً، إلا ما ارتآه عثمان من تجريد رسمه من الإعجام،حتى رسم الكثير من الوجوه التي صح نقلها عن النبي ﷺ ثم إن هدفاً آخر قد تحقق بعمل عثمان ﷺ، التقريب اللغوي ما بين وجوه القراءة المتلوة آنذاك في الأمصار المختلفة، والقضاء على الخلاف الذي كاد أن يعصف بوحدة الجماعة، أي أنَّ عمل عثمان كان من مقاصده أساساً نشر النص القرآني بلسان قريش، وإرساء هذا التقليد اللغوي الذي سبقته مقدمات كثيرة في عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

وقد ساعد على ذلك أمر عثمان بإحراق كل ما عدا مصحفه من صحف أو مصاحف كان قيدها الصحابة الآخرون والآخذون عنهم، وقد انصاع لأمره الناس في سائر الأمصار، فيما عدا ما روي عن عبد الله بن مسعود من أنه عارض ذلك، وأمر الناس في الكوفة بالتمسك بمصحفه قائلاً: كيف تأمروني أن أقرأ على

---

١ – المصاحف.

قراءة زيد بن ثابت وقد قرأت من في رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة، وإن زيد بن ثابت ليأتي مع الغلمان له ذؤابتان، والله ما نزل من القرآن إلا وأنا أعلم في أي شيء نزل، ما أحد أعلم بكتاب الله مني، وما أنا بخيركم، ولو أعلم مكاناً تبلغه الإبل أعلَم بكتاب الله مني لأتينه)[1].

فابن مسعود عارض في إحراق مصحفه، وفي عمل عثمان ﷺ، أيضاً لشبهة عرضت له، هي ظنه أن زيداً قد تفرد بالعمل، وقد كان هو أولى من يقوم به، فلما علم بعد ذلك أنَّ موقفه قائم على شبهة لا أكثر، وأن المصحف الذي أرسله عثمان هو نسخة من جمع أبي بكر الذي أخذ عن صدور الرجال، وما كتب في عهد رسول الله ﷺ، وأن زيداً لم ينفرد بالعمل، بل شركه فيه جمع كبير من الصحابة وأجمع عليه المسلمون جميعاً، وافق اقتناعاً أولاً [2]، وحفاظاً على وحدة الأمة ثانياً.

وبذلك تمت موافقة الأمة كلها على مصحف عثمان، حتى قال مصعب بن سعد:(أدركت الناس متواترين حين أحرق عثمان المصاحف، فأعجبهم ذلك، وقال: لم ينكر ذلك منهم أحد)[3].

١- انظر: الآثار في كتاب المصاحف (١/ ١٩٢-١٩٨ من رقم -٥٠-٦١) وهامشه وفيه تخريجها والحكم عليها، وصحيح البخاري كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ (الفتح ٩/ ٤٧).

٢- وقد بوب له أبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف بقوله: باب رضاء عبد الله بن مسعود بجمع عثمان ﷺ المصاحف (١/ ٢٠٢) وانظر الفتح (٩/ ٤٩).

٣- المصاحف (١/ ١٨٧ برقم ٤١) ورواه أبو عبيد في فضائل القرآن ٢١٩، والذي في المقنع ١٨، والبخاري في تاريخه الكبير (٧/ ٣٥١) وحكم ابن كثير بصحة سنده في فضائل القرآن ص ٣٩ وانظر هامش المصاحف.

ولما قدم علي الكوفة قام إليه رجل فعاب عثمان بجمع النَّاس على المصحف، فصاح، وقال: اسكت، فعن ملأ منَّا فعل ذلك، فلو وليت منه ما ولي عثمان لسلكت سبيله)[1].

وروى عنه أنه قال: لو لم يصنعه عثمان لصنعته[2].

وقد ورد على عمل عثمان ﷺ، أخبارا قد تثير شبهاً عند من يقرأها: فمن ذلك:

ما رواه ابن خالويه أن قراءة ابن عباس «ووصى ربك» في مكان « وقضى ربك ». وأن ابن عباس قال: إنما التصقت الواو بالضاد، ومنها: الخبر المروي عن يحيى بن يعمر وعكرمة مولى ابن عباس عن عثمان ﷺ: أن المصاحف لما نسخت عرضت عليه، فوجد فيها حروفاً من اللحن، فقال: اتركوها، فإن العرب ستقيمها، أو ستعربها بلسانها[3].

وله تكملة أخرى في رواية أخرى:(لو كان الكاتب من ثقيف، والمملي من هذيل، لم توجد فيه هذه الحروف.

١- المصاحف (١/ ٢١٥).

٢- المصاحف (١/ ١٨٦ برقم ٣٩،٤٠) و (١/ ١٨٧)، وأخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ٢٢٠، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤٢).

٣- انظر: تاريخ القرآن (ص ١٨٩-١٩٠)، د. عبد الصبور شاهين، وانظر المقنع (ص ١١٥-١١٧).

ومنها: ما رواه هشام بن عروة عن أبيه، أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن قوله (إن هذين لساحران) وعن (والمقيمون الصلاة والمؤتون الزكاة) فقالت: يا ابن أختي، عَمَلُ الكُتَّابِ أخطأوا في الكتابة)[1].

- مناقشة هذه الأخبار:- أما الخبر الأول فيكفي في رده أنه يتحدث عن قراءة شاذة، وكل قراءة شاذة فهي غالباً ضعيفة السند نسبياً، لا يمكن أن تقف أمام ما ثبت بالرواية الصحيحة، والقراءة المتواترة (وقضى) ليس أساس ثبوتها الرسم وحده، وإنما النقل والمشافهة، إلى جانب الرسم. لأن الرسم جاء متأخراً عن الرواية والحفظ والتلاوة المتداولة بين الصحابة، ومن ثم فضعف الخبر من حيث السند إلى ابن عباس يغني عن المناقشة.

وأما الأخبار الأخرى فمضمونها واحد هو وجود لحن مخالف للأعراب وقد أغنانا رد أبي عمرو الداني وهو مَن هو في هذا العلم والمكانة في الاختصاص فقال عن خبر عثمان ﷺ: هذا الخبر عندما لا يقوم بمثله حجة، ولا يصح دليل من جهتين؛ إحداهما: أنه مع تخليط في إسناده، واضطراب في ألفاظه مرسل، لأن ابن يعمر وعكرمة لم يسمعا من عثمان شيئاً، ولا رأياه؛فإن ظاهر ألفاظه ينفي وروده عن عثمان ﷺ، لما فيه من الطعن عليه، مع محله من الدين، ومكانه من الإسلام، وشدة اجتهاده في بذل النصيحة، واهتباله بما فيه الصلاح للأمة، فغير ممكن أن يتولى لهم جمع المصحف مع سائر الصحابة الأتقياء الأبرار نظراً لهم، ليرتفع الاختلاف في القرآن بينهم، ثم يترك لهم فيه مع ذلك لحناً وخطأ يتولى تغييره من

١- المقنع ص ١١٥، نقلاً عن تاريخ القرآن د. عبد الصبور شاهين ص ١٩٠.

يأتي بعده، ممن لاشك أنه لا يدرك مداه، ولا يبلغ غايته ولا غاية من شاهده، هذا ما لا يجوز لقائل أن يقوله، ويحل لأحد أن يعتقده[١].

وتناول الداني أيضاً خبر عائشة بأن عروة سمى ذلك لحناً، وأطلقت عائشة على مرسومه كذلك الخطأ على جهة الاتساع في الأخبار، وطريق المجاز في العبارة، وإذ كان ذلك مخالفاً لمذهبها، وخارجاً عن اختيارهما، واستطرد قائلاً:(هذا الذى يحمل عليه هذا الخبر، ويتناول فيه دون أن يقطع به على أن أم المؤمنين رضي الله عنها مع عظيم محلها وجليل قدرها، واتساع علمها،ومعرفتها بلغة قومها لحنت الصحابة، وخطأت الكتبة، وموضعهم من الفصاحة، والعلم باللغة موضعهم الذي لا يجهل ولا ينكر، هذا مالا يسوغ ولا يجوز)[٢]، ثم ذكر الداني رأياً آخر: أن بعض العلماء تناول قول أم المؤمنين: (أخطأوا في الكتاب) أي أخطأوا في اختيار الأولى من الأحرف السبعة، وتأول اللحن أنه القراءة واللغة، كقول عمر ﷺ: (أبيّ أقرؤنا، إنا لندع بعض لحنه، أي قراءته ولغته[٣].

وفي هذه المناقشة وجدنا أن الداني يعتمد التعليل القائل بأن اللحن مقصود به الخطأ، وإن ذكر احتمالاً آخر في نهاية المناقشة هو أن يكون اللحن بمعنى اللغة والقراءة.

١- السابق ص ١١٥ – ١١٦.

٢- السابق ص ١١٨.

٣- المقنع ص ١١٩، نقلاً عن تاريخ القرآن د. عبد الصبور شاهين ص ١٩١.

والواقع أن مناقشة هذه القضية ينبغي أن تقوم على تصور مفهوم (اللحن) وعلاقته بالخطأ، في نظر أولئك المتقدمين من الصحابة، وقد أغنانا في هذا المستشرق الألماني يوهان فك، في كتابه (العربية)، حيث خصص ملحق الكتاب لدراسة تاريخية دلالية لمادة (ل ح ن) ومشتقاتها، وقد ذكر أن كلمة (لحن) قد تعني في لغة الجاهلية وصدر الإسلام معاني: الميل، والفطنة، والبلاغة، والغناء، والرمز والإشارة، واللغز والتورية، وطريقة التعبير، لكنها لم تكن مطلقاً (الخطأ في التعبير)، وينتهي بأن الكلمة ربما دلت على هذا المعنى في وقت متأخر نسبياً، ورجح أن يكون ذلك في أواخر القرن الهجري الأول، وأوائل الثاني[1].

ومقتضى هذا أن نستبعد بصفة موضوعية تفسير اللحن بالخطأ، إذ لم يكن ذلك لغة هذا الجيل، ولا هو من المدلولات المعروفة للكلمة آنذاك،ولم يبق إلا أن يفسر (اللحن) بوجوه القراءة،وبذلك يسقط النصف الأول من الشبه التي التصق بالرسم العثماني، وبعبارة أصح، بعمل الصحابة، ومن أنهم خلفوا في الرسم بعض اللحون، أي الأخطاء، فو كان (خطأ) وقد كتبوه بأيديهم، لمحوه أيضاً، ولما تركوا الأمة تضل في تلاوة كتاب الله.

وقد تكفل الداني بتأويل قول عائشة بما يمكن أن يعد مخرجاً من النصف الثاني من الشبهة، على فرض صحة نقلها عن عائشة رضي الله عنها، غير أننا نزيد هنا تعليقاً على القراءة المشهورة: (والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة)، وهي إحدى المفردات التي وردت في هذا القول المروي عن عائشة، وكل ما يقال في

١ – العربية ص ٢٣٥ – ٢٣٦، نقلاً عن تاريخ القرآن د. عبد الصبور شاهين ص ١٩٢.

تفسير شكلها الإعرابي يصدق على سائر المفردات الأخرى، فقد وردت رواية عن أبيّ بن كعب أنه قرأ: (والمقيمون الصلاة) بالرفع، وقرأ بذلك جماعة من ابن عباس وابن مسعود وعيسى الثقفي وأبو عمرو والأعمش وغيرهم[١].

قال أبو حيان في تعليقه على هذه القراءة: (بل فيه – أي في مصحف أبيّ – (والمقيمين الصلاة) كمصحف عثمان، وذكر عن عائشة وأبان بن عثمان أن كَتْبَهَا بالياء من خطأ المصحف، ولا يصح عنهما ذلك، لأنهما عربيان فصيحان، وقطع النعوت أشهر في لسان العرب، وهو باب واسع ذكر عليه شواهد سيبويه وغيره، وعلى القطع خرج سيبويه ذلك، قال الزمخشري: ولا نلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحناً في خط المصحف، وربما التفت إليه من ينظر في الكتاب، ولم يعرف مذاهب العرب، ومالهم في النصب على الاختصاص من الافتنان، وعني عليه أن السابقين الأولين الذي مثلهم في التوراة، ومثلهم في الإنجيل، كانوا أبعد همة في الغيرة على الإسلام، وذب المطاعن عنه من أن يتركوا في كتاب الله ثلمة يسدها من بعدهم، وخرقاً يرفعوه من يلحق بهم[٢]، وحسبنا هذا دفاعاً عن أصحاب رسول الله، وعن كتاب الله، في هذا المقام[٣].

* وإذا انتقلنا إلى الكلام عن تفسير القرآن في عهد الخلفاء الراشدين فإننا نجد أن تفسير القرآن اعتمد على اقوال الصحابة ﷺ.

١- الكرماني ص ٦٦، والبحر (٣/ ٣٩٥)، والمحتسب ص ٤٨.

٢- البحر (٣/ ٣٩٥-٣٩٦).

٣- انظر: تاريخ القرآن (ص ١٩٠-١٩٣)، د. عبد الصبور شاهين.

أولاً: لأنهم تلقوه مباشراً ممن أنزل عليه القرآن ليبينه للناس، فكانوا يرجعون حينما يشكل عليهم شيء من تفسيره ومعانيه والمراد منه، وهذا معلوم ظاهر.

ثانياً: أنهم شهدوا التنزيل وعرفوا أسباب النزول وهي معينة على فهم كلام الله عز وجل. ولذا اعتنى العلماء كثيراً بكلام الصحابة ﷺ ورجعوا إليه لفهم ما أشكل عليهم، قال الشاطبي رحمه الله: (معرفة أسباب التنزيل لازمة لمن أراد علم القرآن... ومعرفة الأسباب رافعة لكل مشكلٍ.. فهي من المهمات في فهم الكتاب... والجهل بأسباب التنزيل موقعٌ في الشبه والإشكالات ومردٌ للنصوص الظاهرة مورد الإجمال حتى يقع الاختلاف وذلك مظنة وقوع النزاع. ويوضح هذا المعنى ما روى أبو عبيد عن إبراهيم التيمي قال: خلا عمر ذات يوم فجعل يحدث نفسه، كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد وقبلتها واحدة !. فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين، إنا أنزل علينا القرآن فقرأناه وعلمنا فيم نزل.وإنه سيكون بعدنا أقوام يقرؤون القرآن ولا يدرون فيم نزل، فيكون لهم فيه رأي؛ فإذا كان لهم فيه، اختلفوا، فإذا اختلفوا اقتتلوا. قال: فزجره وانتهره، فانصرف ابن عباس، ونظر عمر فيما قال، فعرفه فأرسل إليه فقال: أعد علي ما قلت،فأعاده عليه فعرف عمر قوله وأعجبه.وفي خبر شرب قدامة ابن مظعون ﷺ لما استعمله على البحرين وقدم الجارود فشهد عليه الجارود عند عمر بشرب المسكر، فاستدعاه وكان قد استدل بقوله تعالى: ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح... الآية.وكونه منهم وقد شهد مع رسول الله ﷺ بدراً والمشاهد.فقال

عمر: ألا تردون عليه قوله. فقال ابن عباس إن هؤلاء الآيات أنزلن عذراً للماضين وحجة على الباقين، فعذر الماضين بأنهم لقوا الله قبل أن تحرم عليهم الخمر وحجة على الباقين لأن الله يقول ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ ﴾[1]، فإن كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات فإن الله قد نهى أن يشرب الخمر قال عمر: صدقت)[2].

وإذا نظرنا إلى الصحابة الذين تصدوا للتفسير فنجد، أن أكثره آل إلى علماء آل البيت رضوان الله عليهم، فقد كان الإمامُ عليٌ أكثر الخلفاء الراشدين تفسيراً، قال السيوطي رحمه الله: وكان أكثر الأربعة رواية للتفسير علي بن أبي طالب ﷺ، أما الرواية عن الخلفاء الثلاثة قبله فهي قليلة لتقدم زمن وفاتهم[3].

وقد كان علي ﷺ على وعي كبير بما طرأ على المجتمع الإسلامي في آخر عهد الراشدين حيث دخل كثير من اليهود والنصارى في الإسلام، ووجدت طوائف من القصاص كانت تتخذ من القصص طريقاً للوعظ، ولم يكن يخلو وعظهم من الإسرائيليات التي تعلموها، فلم يكن هذا الأمر محل رضاً من الصحابة ﷺ ولذلك لما آلت الخلافة إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كان يمنع القصاص من المساجد إلا إذا التزموا في قصصهم ما جاب في القرآن الكريم لا يزيدون.

١- سورة المائدة الآية (٩٠).

٢- الشاطبي - الموافقات، (٣/ ٢٠١-٢٠٣).

٣- الإتقان في علوم القرآن (٦/ ٢٣٢٥)، طبعة مجمع الملك فهد للمصحف - للسيوطي.

فقد كان ﷺ من أكبر علماء التفسير في هذه الأمة، قال الزركشي:(وصدور المفسرين من الصحابة: عليٌ ثم ابن عباس، وهو تجرد لهذا الشأن، والمحفوظ عنه أكثر من المحفوظ عن علي، إلا ان ابن عباس كان أخذ عن علي)[1].

قد كان علي وابن عباس وأبي بن كعب و غيرهم من الصحابة مرجعاً لتفسير القرآن الكريم فقد كانوا من أعلام مدرسة التفسير في المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم ثم لما انتقل عليً ﷺ إلى العراق كان له الأثر البالغ في قيام مدرسة التفسير في العراق التي سبق إليها ابن مسعود ﷺ في زمن عمر بن الخطاب وقد عزز هذه المدرسة في التفسير ولاية ابن عباس ﷺ على البصرة، فكانت مدرسة العراق بجهود ابن مسعود في الكوفة وابن عباس في البصرة و قدوم عليً بعدهما إليها أسبق المدارس التفسيرية بعد مدرسة المدينة ثم نشأت مدرسة التفسير بمكة بعد انتقال ابن عباس إليها وقد تفرغ للعلم واعتزل السياسة فكانت مدرسة مكة آخر مدرسة للتفسير على عهد الصحابة ﷺ وقد صارت أشهر المدارس في التفسير.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وأما التفسير فإن أعلم الناس به أهل مكة؛ لأنهم أصحاب ابن عباس، كمجاهد وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة، وغيرهم من أصحاب ابن عباس كطاوس، وأبي الشعثاء وسعيد بن جبير وأمثالهم.

---

١ – البرهان في علوم القرآن (٢/ ١٥٧) بتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم.

ولا أريد أن أسترسل في النقل للنصوص المتكاثرة الدالة على عناية أعلام الآل والأصحاب في تفسير كلام الله وفهمه، وهي من الكثرة بمكان وحسبنا من القلادة ما أحاط بالعنق وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً والحمد لله رب العالمين.

توصيات

- يوصي الباحث بتوجيه الدراسة العلمية الدقيقة لجمع النصوص المتعلقة بتراث الآل والأصحاب العلمية وتخريجها والحكم عليها من كتب السنة والتاريخ، للاستفادة منها في فهم ما كانوا عليه من الهدي والمتابعة للنبي ﷺ.

- كما يوصي ببيان أثر الآل والأصحاب في الحياة العلمية في زمن الخلفاء الراشدين ومن بعدهم، وبيان حرص أهل السنة على تلقي العلم عنهم، وبيان ما كانوا عليه من التعظيم والمحبة لهم رضي الله عن الجميع.

- يوصي الباحث بجمع النصوص المتعلقة بالعقيدة وأصولها المروية عن آل بيت النبي ﷺ ونظمها في عقد واحد لتكون في متناول من يريد الاطلاع على ما كانوا عليه من المعتقد السليم الموافق لما جاء في القرآن والسنة، وهي نصوص من الكثرة بمكان.